الموقع الرسمي لـ:

الأستاذ الدكتور موسى إسماعيل

أثر التقوى في استقامة الفرد

إعداد:

أ.د/ موسى إسماعيل

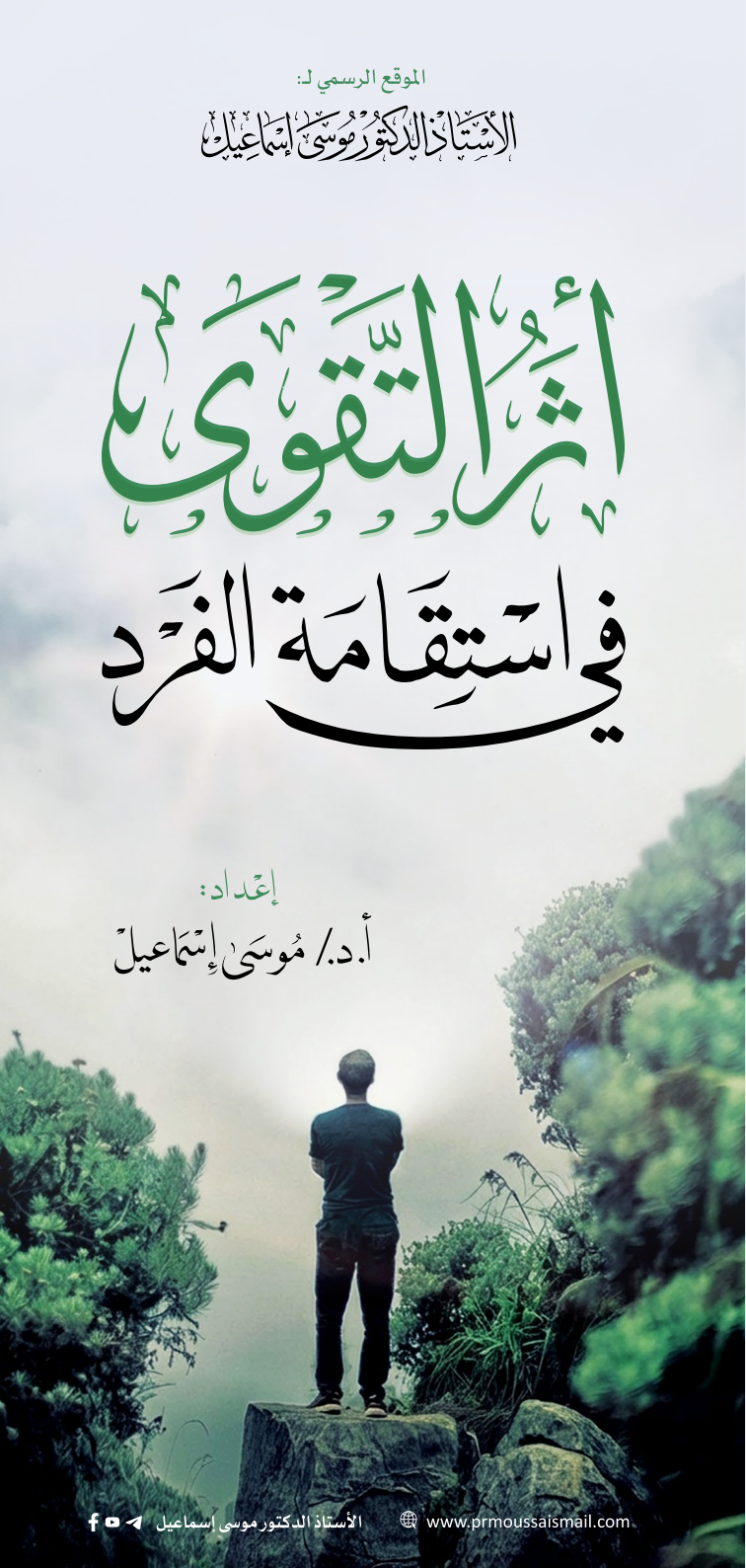

أثر التّقوى في استقامة الفرد

الحمد لله، والصّلاة والسّلام على رسول الله، وعلى آله وأصحابه ومن والاه.

أمّا بعد؛ فإنّ التقوى إذا تمكّنت من قلب الإنسان، صَلُحَتْ سريرته، وحُمِدَت سيرته، واستقامت أعماله، وحَسُنَت أحواله، لهذا كانت التّقوى وصية الله للأوّلين والآخرين، ودعوة الأنبياء والمرسلين، وشعار الأولياء والصّالحين.

لا غنى للمؤمن عن التّقوى:

المؤمن الصّادق يعيش بتقواه ويتحرّك بها في كلّ أمر صغير أو كبير، يراقب الله في سرّه وعلانيته، ويطلب رضا الله في حركته وسكونه، حياته في هذه الدّنيا بالتّقوى، وخروجه منها بكلمة التّقوى.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨﴾ [الحشر: 18].

التّقوى تعصم من الزّيغ والضّلال:

التّقوى هي العاصم الأقوى للمؤمن من الزّيغ عن الهدى، ومن الميل إلى دواعي النّفس الأمّارة

بالسّوء، ومن الانحراف عن طريق الاستقامة أو الانجراف وراء الأهواء والشّهوات.

يقول عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه: «التَّقِيُّ مُلْجَمٌ، لَا يَسْتَطِيعُ كُلَّ مَا يُرِيدُ».

ومعنى كلامه أنّ من كان مُلْجَمًا بلجام التّقوى، حبس نفسه على طاعة ربّه، وقطع نفسه عن كلّ شاغل يشغله عنه، وكفّ جوارحه عن المحارم، وراقب أقواله وأفعاله، لعلمه بأنّ الله مطلّع عليه، فما كان منها خيرًا أقبل عليه، وما كان منها شرًّا أحجم عنه؛ فالتّقيُّ دائم المراقبة لله عزّ وجلّ، شديد المحاسبة لنفسه، سريع الإنابة إلى الله.

أهلُ التّقيِّ:

التّقيُّ: عُملة قيّمة في عالم البشر، وجوهرة ثمينة لا تُقَدَّرُ بثمن، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿34﴾ أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴿35﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿36﴾﴾ [القلم: 34 ـ 36].

والتّقيُّ: يبتغي ما عند الله من المغفرة والرّحمة والفوز بالجنّة، ويختار الآخرة على الدّنيا، كما قال تعالى: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿32﴾﴾ [الأنعام: 32].

والتقيُّ: حريص على عبادة ربّه، مقبل على طاعته، مجتهد في أداء فرائضه، غير مفرط ولا مضيع في أمر دينه، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿21﴾﴾ [البقرة: 21].

والتّقيُّ: مستجيب لأمر الله تعالى، متّبع لآثار رسول الله ﷺ طائع له، كما قال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخۡشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقۡهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ٥٢﴾ [النور: 52].

والتقيُّ: حَذِرٌ من مكر الشّيطان وغدره، فَطِنٌ محتاط من كيده ووساوسه، إذا مَسّه طائف منه تذكّر، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ٢٠١﴾ [الأعراف: 201].

والتقيُّ: نقيُّ القلب من الغلِّ والحقد والحسد، ومن البغضاء والشّحناء والكراهية، ومن التَّكَبُّرِ وَالتَّجَبُّرِ والتّعاظم على العباد، كما قال تعالى: ﴿يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ ٨٨ إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ ٨٩ وَأُزۡلِفَتِ ٱلۡجَنَّةُ لِلۡمُتَّقِينَ ٩٠ وَبُرِّزَتِ ٱلۡجَحِيمُ لِلۡغَاوِينَ ٩١﴾ [الشعراء: 88 ـ 91].

أُزْلِفَت لهم الجنّة من كلّ ما تشتهيه نفوسهم وتلذّه عيونهم، لنقاوة قلوبهم، وسلامة سرائرهم، وطهارة بواطنهم.

والتقيُّ: صادق القلب لا ينافق ولا يُرَائِي بعمله أحدًا، صادق اللّسان لا يفتري الكذب، صادق المعاملة لا يخون ولا يغدر ولا يغش، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ١١٩﴾ [التوبة: 119].

والتّقيُّ: صادق الوعد لا يخلف موعدًا ولا يَنْقُض عهدًا، كما قال تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ٧٦﴾ [آل عمران: 76].

والتّقيُّ: يتحرّى الحلال في رزقه، كما قال تعالى: ﴿وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلٗا طَيِّبٗاۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ أَنتُم بِهِۦ

مُؤمِنُونَ ﴿88﴾ ﴾ [المائدة: 88].

والتقيُّ: نقي اليد، لا يكسب الحرام، ولا يأكل الرّبا، ويتّقي الشّبهات ليصون دينه وعرضه، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤمِنِينَ ﴿278﴾ ﴾ [البقرة: 278].

والتقيُّ: صادق في بيعه، أمين في تجارته، لا يخون، ولا يخدع، ولا يغشّ، لأنّه يخشى الله، ويعلم أنّ الرّزق بيد الله، والله تعالى يقول: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ﴿2﴾ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ ﴾ [الطلاق: 2 ـ 3].

وروى التّرمذي وابن ماجه بسند حسن عن رِفَاعَةَ بْنِ رَافِعٍ الأَنْصَارِيِّ رضي الله عنه «أَنَّهُ خَرَجَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ إِلَى المُصَلَّى، فَرَأَى النَّاسَ يَتَبَايَعُونَ، فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ التُّجَّارِ، فَاسْتَجَابُوا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَرَفَعُوا أَعْنَاقَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ إِلَيْهِ، فَقَالَ: **إِنَّ التُّجَّارَ يُبْعَثُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ فُجَّارًا، إِلَّا مَنْ اتَّقَى اللَّهَ، وَبَرَّ، وَصَدَقَ**».

والتّقيُّ: لا يبخل بماله عن إخوانه من الفقراء والمساكين، ولا يعجز عن تفقّد ذوي الحاجات، كما قال تعالى: ﴿وَءَاتَى ٱلۡمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَۖ وَٱلۡمُوفُونَ بِعَهۡدِهِمۡ إِذَا عَٰهَدُواْۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلۡبَأۡسِۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ﴿177﴾ ﴾ [البقرة: 177].

والتّقيُّ: لا يصاحب إلّا تقيًّا نقيًّا، كما قال تعالى: ﴿ٱلۡأَخِلَّآءُ يَوۡمَئِذِۭ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿67﴾ ﴾

[الزخرف: 67].

والتّقيُّ: يعفو عمّن ظلمه، ويحسن إلى من أساء إليه، كما قال تعالى: ﴿سَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤﴾ [آل عمران: 133 ـ 134].

والتّقيُّ: ناصح أمين، ومصلح مخلص، يسعى لجمع الشّمل، ورأب الصّدع، وإصلاح ذات البين، كما قال تعالى: ﴿وَإِن تُصۡلِحُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ١٢٩﴾ [النساء: 128].

والتّقيُّ: متواضع لا يتكبّر على أحد، ولا يتجبّر على من هو دونه، كما قال تعالى: ﴿تِلۡكَ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ نَجۡعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فَسَادٗاۚ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ ٨٣﴾ [القصص: 83].

والتّقيُّ: لا يسيء الظّنّ بالنّاس، ولا يتجسّس عليهم، ولا يغتب أحدًا، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ ١٢﴾ [الحجرات: 12].

هذا هو التّقيّ الصّادق في تقواه، المخلص في خشيته لله، الرّاغب فيما عند الله، الرّاجي غفران الله.